

العمل التطوعي في الإسلام (أدلته - أصالته - خصائصه - آثاره)

الأستاذ الدكتور محمد عجاج الخطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام المرسلين، وخاتم النبيين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد حث الإسلام على أعمال البر، وأبواب الخير، فلم يترك للخير باباً إلا فتحه، ولم يدع للشر ثغرة إلا سدّها وحذر منها، ولأعمال التطوع في الإسلام أدلة واضحة، وخصائص مميزة، وأصالة متبعة، وآداب جمّة، رأيت أن أسهم ببيانها في مؤتمركم هذا، تحت عنوان (العمل التطوعي في الإسلام): أدلته، أصالته، خصائصه، آثاره.

وبنيت موضوعي على تمهيد، وأحد عشر مبحثاً، وخاتمة، على النحو الآتي:

أولاً - بين يدي الموضوع.

ثانياً - معنى التطوع: لغة. في القرآن الكريم. في السنة. في الاصطلاح.

ثالثاً - ترغيب الإسلام في التطوع وعمل الخير، وفيه:

- 1) الحث على البذل.
- 2) الإنفاق مما يحب.
- 3) عموم وجوه الخير.
- 4) جزاء المحسنين في الدنيا.
- 5) جزاؤهم في الآخرة.
- 6) الجزاء من جنس العمل.
- 7) تربية المسلم على التطوع يومياً.
- 8) تنوع أعمال التطوع.
- 9) لا بد من التطوع في الخير.

10) ما من تطوع إلا ويأخذ بيد صاحبه إلى الجنة.

11) التحذير من الشح والظن بفعل الخير.

رابعاً – أنواع التطوع:

تطوع فردي.

تطوع جماعي.

خامساً – نماذج من التطوع الفردي في صدر الإسلام.

سادساً – نماذج من التطوع الجماعي في صدر الإسلام.

سابعاً – أصالة العمل التطوعي في الإسلام وصوره.

ثامناً – نماذج من أعمال التطوع في الإمارات قبل النفط وبعده.

تاسعاً – خصائص العمل التطوعي في الإسلام: (وقد بلغت إحدى عشر خاصة).

عاشراً – دور العمل التطوعي في بناء المجتمع: (يتجلى في ثمانية عشر أثراً).

أحد عشر – دور الشباب في العمل التطوعي.

أخيراً: الخاتمة.

أرجو أن أكون قد وفقت إلى ما قصدت، مع خالص شكري لجمعية بيت الخير بدبي؛ لقيامها بهذه الدورة التدريبية، جزى الله القائمين عليها خير الجزاء، وللمساهمين فيها والمتعاونين معها مثل هذا، وجمعية المعلمين في رأس الخيمة خالص الشكر لاستضافتها هذه الدورة، ولجميع الزملاء أعضاء الهيئة التعليمية أركى التحيات، وأصدق التمنيات بدوام العطاء، واستمرار النجاح في مهمتهم التربوية التعليمية، وحسن بناء الأجيال الصاعدة بناءً إيمانياً وعلمياً، يعيد لأمتنا دورها الرائد، وأمجادها الفريدة، شاكراً للإخوة الحضور حسن إصغائهم ومشاركتهم.

والحمد لله رب العالمين

مساء يوم الجمعة 7 صفر 1423 هـ / 19-4-2002 م

أ.د. محمد عجاج الخطيب

أولاً – بين يدي الموضوع:

إن أهم ما دعت إليه الرسالات السماوية من لدن آدم عليه السلام، إلى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم – التوحيد ومكارم الأخلاق، وتوجت هذه الرسالات بكمال العبادة والتشريع في خاتمة

الرسالات، التي رضيها الله تعالى لعباده بصريح قوله سبحانه : **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا [المائدة 3]** .

فقد كانت المقاصد الأولى من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم: نبد الشرك وتوحيد الله تعالى.

تقويم السلوك على مكارم الأخلاق، وهجر الأخلاق والمذمومة واجتنابها. أداء العبادات، وتطهير النفوس وتركيتها.

إقامة أحكام الله بين عباد الله في جميع ميادين الحياة.

ويتلخص هذا كله في قوله تعالى : **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ [آل عمران 164]** ¹ .

تهدف جميع هذه المقاصد إلى بناء الشخصية الإسلامية القوية المتوازنة لبناء المجتمع الإسلامي المتضامن، الذي تربط بين أفراد الأخوة في العقيدة وما يترتب عليها من تراحم وتعاطف وتناصر، وحب وإيثار وتعاون وإخلاص، مصداقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم، كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**) ² . فلا ينتهي الأمر عند المسلم بإسقاط ما عليه من واجب بأدائه، بل يتعداه إلى البذل والعطاء والإيثار مادياً وأدبياً، مما سنفصله فيما يلي:

ثانياً - معنى التطوع :

التطوع لغة: الطوع: نقيض الكره. طاعه يطوعه وطاوعه . . . وتطوع للشيء: حاوله. (والتطوع؛ ما تبرع به من ذات نفسه مما لا يلزمه فرضه، كأنهم جعلوا الفعل اسماً).

(1) في تلاوة القرآن الكريم عبادة ، وفي التزكية تطهير للنفوس ، وفي تعلم الكتاب (القرآن الكريم) الوقوف على المعرفة الواجبات والحقوق ، وما يجب فعله ، وما يجب تركه ، وما يستحب ، وما يكره ، وما هو مباح ، وبهذا بالتزام تطبيق ما أمر الله تعالى به . و(الحكمة) فقد قال بعض أهل العلم : إنها مكارم الأخلاق بدلالة عدة آيات منها (الآيات 23-39) من سورة الإسراء، و (12-19) من سورة لقمان . وقال صلى الله عليه وسلم : (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)-أخرجه البخاري في كتابه الأدب المفرد ص 104- وقال تعالى في حق رسوله صلى الله عليه وسلم : (وإنك لعلی خلق عظیم) سورة القلم الآية 4 . ولا شك أن العمل التطوعي من مكارم الأخلاق .

(1) أخرجه مسلم ، وعند البخاري (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم ...) الموسوعة الذهبية (5669) ، وعند الإمام أحمد (وتواصلهم) (19518) .

(وصلاة التطوع: النافلة، وكلُّ متنفلٍ خيرٌ تبرعاً: متطوع)، والتطوع؛ السعي في أن يكون طائعاً غير مكره، يتضمن معنى (أتى)¹.

التطوع في القرآن الكريم مبني على الدلالات اللغوية، فهو الزيادة على الواجب؛ كما في قوله تعالى: **{ إِنَّ الصَّافَةَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ }** البقرة 158 .

قيل في هذا: زاد في سعيه بينهما، وقيل يطوف بينهما في حجة تطوع أو عمرة تطوع. والأرجح أن المقصد من هذا التذييل؛ الإتيان بحكم كلي في أفعال الخيرات كلها من فرائض ونوافل، أو نوافل فقط².

وكما في قوله عز من قائل في آية الصيام: **{ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ }** [البقرة 184] .

فالخير؛ هو المتطوع به؛ فهو الزيادة، فمن زاد على إطعام مسكين واحد فهو خير له. ويمكن أن يكون الإطعام مع الصيام، كما يمكن أن يكون الزيادة في إطعام المسكين³. التطوع في السنة، ورد كثيراً بمعنى التنفل، والنافلة، والقربات والصدقات ونحوها... وهو الزيادة في العبادة على ما فرض عليه، وواضح هذا فيما أخرجه الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إِنْ اللَّهُ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتَهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ...)** الحديث⁴.

التطوع في الاصطلاح: هو التقرب إلى الله عز وجل بأمر مشروع مما لم يفرض على المتقرب به. كما يمكن أن يكون بعبارة أخرى:

(2) انظر القاموس المحيط وتاج العروس من جواهر القاموس مادة (طوع) و تفسير التحرير والتنوير ج 2 ص 167 .
(3) {فليس المقصود من (خيراً) خصوص السعي ؛ لأن خيراً نكرة في سياق الشرط ؛ فهي عامة . ولهذا عطفت الجملة بالواو دون الفاء ؛ لئلا يكون الخير قاصراً على الطواف بين الصفا والمروة } تفسير التحرير والتنوير ج 2 ص 14 ، وانظر مختصر تفسير ابن كثير ج 1 ص 145. وقوله: (فإن الله شاكر عليم) أي يثيب على القليل بالكثير . عليم بقدر الجزء كما في قوله: (لا يظلم مثقال

(1) انظر تفسير التحرير والتنوير ج 2 ص 167-168 .
(2) تنمة الحديث (وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب 61 .

هو الالتزام بأمر مشروع مما لم يكن لازماً على الملتزم .

ثالثاً – ترغيب الإسلام في التطوع وعمل الخير:

الحث على البذل: قال عز من قائل: **{لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظَلَمُونَ}** البقرة 272

الإِنفاق مما يجب: قال عز من قائل: **{لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ}** آل عمران 92.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار في المدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت هذه الآية: **{لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ}** آل عمران 92.

قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول: **{لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}**، وإن أحب أموالي إلي؛ بيرحاء، وإنها صدقة أرجو برها ودُخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بخ ذلك مال رابح، ذلك مال رابح" ¹.
عموم وجوه الخير وكثرتها: يقول الله عز وجل: **وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظَلَمُونَ [الأَنْفَالُ 60].**

فسبيل الله عز وجل عام يتناول الجهاد وكل ما ينفق في مرضاة رب العالمين، ويعم الحث على فعل الخيرات، جميع ما يدل عليه لفظ الصالحات، ويتناول جميع المؤمنين كما في قوله تعالى: **وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَمُونَ نَقِيرًا [النساء 124]** ².

(1) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي، الترغيب والترهيب 17/2 . بيرحاء : اسم حديقة نخل لأبي طلحة الأنصاري بالمدينة المنورة .

(1) النساء : 124 ، والنقير : الموضع المنخفض من نواة التمر ، أي لن يظلموا شيئاً مهما دق شأنه وصغر حجمه .

وما أشمل قول الله عز وجل وأعمه: **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا [الكهف:30].**

وقوله: **وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا [المزمل 20].**

جزاء المحسنين في الدنيا:

وعد الله عباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات خير الجزاء في الدنيا والآخرة، قال عز من قائل: **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يُعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ [النور 55].**

جزاؤهم في الدنيا استخلاف في الأرض، وتمكين أمرهم، وعلو كلمتهم، وضمان أمنهم واستقرارهم، بعد خوفهم وضعفهم.

كما في قوله تعالى: **وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَصَرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [الأنفال 26].**

جزاؤهم في الآخرة:

ومن جزائهم في الآخرة قوله عز وجل: **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ [العنكبوت 58].**

الجزاء من جنس العمل:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه (...)¹ .

(1) أخرجه السبعة إلا النسائي انظر صحيح مسلم حديث (4677) ومسنند الإمام أحمد حديث (7118) .

وفي الأثر [صنائع المعروف تقي مصارع السوء]¹.

تربية المسلم على التطوع يومياً:

وجه الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين إلى الخير والبذل، والعون الدائم والاهتمام بأمر المسلمين، بما يجعل المجتمع كالبنيان يشد بعضه بعضاً، قال صلى الله عليه وسلم: (في ابن آدم ستون وثلاث مائة سلامي، أو عظم، أو مفصل، على كل واحد في كل يوم صدقة، كل كلمة طيبة صدقة، وعون الرجل أخاه صدقة، والشربة من الماء يسقيها صدقة، وإمطة الأذى عن الطريق صدقة)².

وأخرج الإمام أحمد بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل سلامي من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع الشمس، قال: تعدل بين الاثنين صدقة، تعين الرجل على دابته تحمله عليها أو ترفع له متاعه عليها صدقة، وقال: الكلمة الطيبة صدقة، وقال: كل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة)³.

تنوع أعمال التطوع:

أخرج الترمذي بسنده عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تبسمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة، وإمطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك صدقة). قال: وفي الباب عن ابن مسعود وجابر وحذيفة وعائشة وأبي هريرة⁴.

لا بد من التطوع في الخير:

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت (يا رسول الله: ما تقول في الصلاة؟ قال: تمام العمل. قلت يا رسول الله: تركت أفضل عمل في نفسي أو خيره؟ قال: ما هو؟ قلت: الصوم. قال: خير وليس هناك. قلت يا رسول الله: وأي الصدقة وذكر كلمة. قلت: فإن لم أقدر؟ قال: بِفَضْلِ طَعَامِكَ. قلت: فإن لم أفعل؟ قال: بِشِقِّ تَمْرَةٍ. قلت: فإن لم أفعل؟ قال: بكلمة طيبة. قلت: فإن لم

(2) انظر الترغيب والترهيب 32/2 .

(3) البخاري . الأدب المفرد الموسوعة الذهبية حديث (173242)، وصحيح البخاري من الموسوعة (2735) .

(1) الموسوعة الذهبية مسند أحمد حديث (47542) . وأخرجه ابن حبان (7523) ونحوه عند الإمام مسلم (9361) .

(2) الجامع الصحيح للترمذي ، الموسوعة الذهبية حديث (21814) .

أفعل؟ قال: دع الناس من الشر فإنها صدقة تصدق بها على نفسك. قلت: فإن لم أفعل؟ قال: تريد أن لا تدع فيك من الخير شيئاً؟! ¹

ما من تطوع إلا ويأخذ بيد صاحبه إلى الجنة :

وفي رواية عن أبي ذر أخرجها الإمام البيهقي، قال: (سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: ماذا ينجي العبد من النار؟ قال: الإيمان بالله. قلت يا نبي الله: مع الإيمان عمل؟ قال: أن ترضخ مما خولك الله، وترضخ مما رزقك الله. قلت يا نبي الله: فإن كان فقيراً لا يجد ما يرضخ؟ قال: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. قلت: إن كان لا يستطيع أن يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر؟ قال: فليعن الأخرق. قلت يا رسول الله: أرايت إن كان لا يحسن أن يصنع؟ قال: فليعن مظلوماً. قلت يا نبي الله: أرايت إن كان ضعيفاً لا يستطيع أن يعين مظلوماً؟ قال: ما تريد أن تترك لصاحبك من خير!!؟ ليمسك أذاه عن الناس. قلت يا رسول الله: أرايت إن فعل هذا يدخل الجنة؟ قال: ما من عبد مؤمن يصيب خصلة من هذه الخصال إلا أخذت بيده حتى تدخله الجنة) ².

التحذير من الشح والبخل والظن بفعل الخير:

حذر الإسلام من الشح. والشح؛ البخل في كل شيء، وإن كان البخل قد يختص بالمال أحياناً.

قال تعالى: **وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [الحشر:9]**.

وقال تعالى: **وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ**

سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ [آل عمران:180].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مبيناً الخطر الاجتماعي المترتب على الشح: (اتقوا الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، وحملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم) ³.

رابعاً - أنواع التطوع :

من الملاحظ في النصوص السابقة أن الحز على التطوع عام، يتناول الفرد والجماعة، وأن بعض الأحاديث أكدت على التطوع اليومي، وأنه لا بد من تطوع للفرد، ولو بترك الشر على الناس، فإن

(3) رواه البزار واللفظ له وابن حبان في صحيحه والحاكم . انظر الترغيب والترهيب 18/2 .

(1) الترغيب والترهيب ج2 ص18-19 .

(2) أخرجه الإمام أحمد والبخاري في الأدب وأبو عوانة وعبد بن حميد عن جابر بن عبد الله ، جمع الجوامع ج1 ص 16 .

فيه خيراً وصدقة على نفس التارك، فإن لم يستطع فإنه لم يدع لنفسه من الخير شيئاً، وعلى هذا نرى أن التطوع نوعان:

النوع الأول: فردي، وهو كل ما يستطيع أن يقدمه المسلم من خير لغيره، كما فصلته الأحاديث السابقة.

النوع الثاني: تطوع جماعي، يشارك أكثر من اثنين في القيام بعمل يعود على المسلمين بالخير، وما أكثر أنواع الخير.

وهذا النوع يندرج تحته ثلاث حالات:

الحالة الأولى: تطوع آني مؤقت؛ كإنقاذ غريق، أو إطفاء حريق، أو إغاثة ملهوف، أو مساعدة منكوب ... ونحوه.

تطوع محدد بزمن يقطعه المتطوعون على أنفسهم، أو مرتبط بإنجاز عمل محدد، فما حدد بزمن كالترع بتدريس مقرر يوزع بين عدد من المدرسين، ينتهي عهدهم وتبرعهم بانتهاء ما التزموا به، وما تعلق بإنجاز عمل كتجهيز مختبر، أو ملعب، أو رصف قطعة من رصيف ينتهي التبرع بانتهاء العمل المتطوع له.

تطوع دائم بعمل معين: كتدريس يوم في الأسبوع مدة حياة مدرس، أو صيانة أجهزة مختبر مدة حياة المصلح، أو مرابطة يومين في الشهر على الثغور، وكل هذا مشروع ومأجور ما دام العبد يتغني وجه الله به.

خامساً - نماذج من العمل التطوعي الفردي في صدر الإسلام:

تطوع علي رضي الله عنه يوم الهجرة بالنوم في فراش الرسول صلى الله عليه وسلم للتعمية على المشركين، ولرد الودائع التي كانت عند الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أصحابها.

تطوع عبد الله بن أبي بكر بنقل أخبار قريش إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في غار ثور في كل مساء، ومبيته عندهم، وعودته باكراً فيصبح مع قريش بمكة كبائت فيها. ويرعى على الرسول صلى الله عليه وسلم عامر بن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله عنه وعلى صاحبه بقطيع غنم يعفي على آثار عبد الله ... حتى لا يفتن أحد من المشركين إلى آثار عبد الله ولا موضع المهاجرين الكرميين ...¹

(1) انظر السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ج 1 ص 482-484.

تطوع زيد بن ثابت بتعلم اللغات الرومية والفارسية بعدما كلفه الرسول صلى الله عليه وسلم بتعلم الكتابة العبرية.

تطوع سعد بن أبي وقاص بحراسة رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة. (عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سهر ذات ليلة وهي إلى جنبه، قالت: قلت ما شأنك يا رسول الله؟ قال: ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يجرسني الليلة، قالت: فبينما أنا على ذلك إذ سمعت صوت السلاح. فقال: من هذا؟ فقال: أنا سعد بن مالك. فقال: ما جاء بك؟ قال: جئت لأحرسك يا رسول الله ..) أخرجه الشيخان¹.

ومثل هذا يقال في تطوع أبي طلحة الأنصاري بمديقة نخله للمسلمين.

تطوع نعيم بن مسعود الأشجعي الغطفاني صديق قريش واليهود، أيام غزوة الخندق، بعد أن أسلم من غير أن يعلم قومه، أن يخذل الأعداء عن المسلمين ما استطاع بإذن الرسول صلى الله عليه وسلم، ففعل. فنجح في حسن تديره والتفريق بين الأحزاب². ومثل هذا لا بد فيه من إذن الإمام؛ لأن الأمر يتعلق بأمن الدولة، وسلامة الرعية.

تطوع البراء بن مالك في حرب اليمامة بأن يرمى من أعلى حصن مسيلمة الكذاب بعد أن طال حصار المسلمين له؛ لينزل خلفه. وفتحه، ودخل المسلمون وقتلوا مسيلمة، وانتصروا على المرتدين. وبهذا ثبتوا أركان الخلافة أيام أبي بكر رضي الله عنه³. إنها نماذج كثيرة وفريدة.

ومثل هذا يقال في صاحب النقب إذ استعصى على المسلمين في غزاة الروم حصن أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان، فسهر أحد جنود المسلمين ليلة حتى أحدث نقباً كبيراً في الحصن، استطاع المسلمون الدخول منه وفتح الحصن، وتم الانتصار على الأعداء. فسر قائد الجيش مسلمة بن عبد الملك، فخطب في الجيش وشكر الله تعالى وحمده على نصره لهم على الأعداء، ثم ناشد من يعرف صاحب النقب أن يأتيه. وفي المساء قدم عليه فارس ملثم فقال: أنا أعرف صاحب النقب، فقال: مسلمة من هو؟ قال: يشترط عليكم ثلاثة، قال: ما هي؟ أنفذها؟ قال: ألا تسألوه عن اسمه، ولا عن قبيلته، وألا تأمروا له بعطاء. قال: نعم. ثم قال الفارس: أنا صاحب النقب، والسلام عليكم ورحمة الله، وولي.

(2) مختصر تفسير ابن كثير ج 1 ص 534 .

(3) انظر السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ج 2 ص 285-286.

(4) حروب الردة في البداية والنهاية .

فكان مسلمة بن عبد الملك يدعو عقب صلاته: [اللهم احشرنى مع صاحب النقب]¹
سادساً – نماذج من التطوع الجماعي في صدر الإسلام:

بناء المسجد النبوي في المدينة المنورة: كان موضع مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم لغلامين يتيمين بالمدينة، هما سهل وسهيل ابنا عمرو، كانا في حجر أسعد بن زرارة، فساومهما الرسول صلى الله عليه وسلم فأبيا، وقالا: بل نهبه لله ولرسوله، ولكن الرسول الكريم أبى إلا أن يكون بالثمن. وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالنخل فقطعت، وبالقبور فنبشت، وبالخرب فسويت، وشرع المسلمون يبنون والرسول صلى الله عليه وسلم معهم يحمل التراب واللبن وهم يقولون:

اللهم إن الأجر أجر الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

وكان علي رضي الله عنه يقول:

لا يستوي من يعمر المساجد يدأب فيها قائماً وقاعداً

ومن يُرى عن التراب حائداً²

حفر الخندق: جعل الرسول صلى الله عليه وسلم لكل عشرة من المسلمين أربعين ذراعاً يحفرونها من الخندق، وكان صلى الله عليه وسلم يحمل التراب من الخندق، حتى وارى عنه التراب جلدة بطنه، وكان يقول:

اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

فيجيبه المسلمون:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً

كما كان يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الأولى قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا³

والمتتبع لأخبار السيرة النبوية وأحداثها يرى ألواناً من التطوع والبذل بالمال والدماء¹، والمتتبع لأخبار الفتوح بعد الرسول صلى الله عليه وسلم يرى العجب العجاب من التطوع الذي سجله

(1) النظم الإسلامية للأستاذ الدكتور صبحي الصالح .

(1) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ج2 ص30-31 .

(2) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ج2 ص177-278 .

التاريخ، وحسبنا هنا ما كان من تطوع عكرمة بن أبي جهل يوم اليرموك ومعه مائتا رجل من الأشداء، زرعوا صفوف الرومان، واخللوا جموعهم، حتى تساقط أبطالهم في اليرموك، وكتب للمسلمين النصر، ولعكرمة وصحبه الشهادة².

ومن التطوع الجماعي المرابطة على الثغور لرصد أعداء الإسلام كما كان يفعل الإمام الأوزاعي والإمام عبد الله بن المبارك³.

وإن جميع حلقات العلم التي كانت تعقد بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم زمن الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ويتصدر فيها أكابر علماء الأمة من الصحابة ومن بعدهم إنما كانت عملاً تطوعياً⁴.

وإن فتح العلماء أبواب مكباتهم الخاصة لطلاب العلم، ووقف بعضهم كتبه لطلبة العلم بعد وفاته، أو وقف مكتبته؛ كما فعل الحافظ ابن حبان البستي (-354 هـ) أيضاً لون من ألوان التطوع.

سابعاً – أصالة التطوع في الإسلام وصوره :

سبق أن بينا أن التطوع هو: (الالتزام بأمر مشروع مما لم يكن لازماً على من التزم به). وبهذا تدخل عدة أمور في التطوع منها :

نذر التبرر : أي نذر الطاعة الخالصة في التطوع، وقد أثنى الله تعالى على الأبرار فقال: **إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا يُؤفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا وَيُطْعَمُونَ أَلْفَ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا [الإنسان:5-9].**

الوصية: كانت الوصية قبل تشريع الميراث للوالدين والأقربين واجبة بكل المال بقوله تعالى: **كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ [البقرة:180].**

(3) انظر غزوة تبوك في السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ج2 ص495 وما بعدها .

(1) انظر فتوح الشام لباشمیل .

(2) انظر ترجمة عبد الله بن المبارك تاريخ بغداد ، وترجمة الإمام الأوزاعي سير أعلام النبلاء .

(3) انظر السنة قبل التدوين ص144 وما بعدها .

ولما نزلت آيات الميراث في سورة النساء بتشريع الموارث تفصيلاً، قيدت الوصية المشروعة بقيدتين:

الأول: عدم نفاذها للوارث إلا بإجازة الورثة؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (**إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث**)¹. فقد صار للوالدين نصيب مفروض من التركة، وصارت الوصية مندوبة لغير الوارثين.

الثاني: ألا تتجاوز الوصية ثلث المال عملاً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص عندما عاده في وجع اشتد به في حجة الوداع. (**قال سعد: إني قد بلغ بي من الوجع وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا، فقلت: بالشطر؟ فقال: لا، ثم قال: الثلث؛ والثلث كبير أو كثير. إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكفون الناس، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها، حتى ما تجعل في في امرأتك**)².

والوصية في اصطلاح الفقهاء: [تملك مضاف إلى ما بعد الموت بطريق التبرع]. وقد تكون تملك عين، أو تملك منفعة ومال، وهي بنوعيتها من أبرز أنواع التطوع المالي، أو التبرع بالمال. الوقف والتحييس والتسييل بمعنى واحد؛ وهو في اللغة: [الحبس عن التصرف]، ويطلق الوقف على الموقوف أيضاً من باب إطلاق المصدر على اسم المفعول. والوقف عند جمهور الفقهاء: [حبس مال يمكن الانتفاع به، مع بقاء عينه، بقطع التصرف في رقبته من الواقف وغيره، على مصرف مباح موجود، أو بصرف ريعه على جهة بر وخير تقرباً لله تعالى]، وبهذا يخرج المال من ملك الواقف، ويصير حبيساً على حكم ملك الله تعالى، ويمتنع على الواقف تصرفه فيه، ويلزم التبرع بريعه على جهة الوقف³.

(1) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب 12 حديث (1213) وفي كتاب المناقب حديث (3643). وغيرها . ومسلم في كتاب الوصية حديث (3076). وابن ماجه في كتاب الوصايا حديث (2699). ومالك في الموطأ كتاب الأفضية حديث (11258). وسنن الترمذي كتاب الوصايا حديث (2043). والنسائي كتاب الوصايا حديث (3567، 3568، 3569). وسنن أبي داود كتاب الوصايا حديث (2480). ومسنند أحمد حديث (1406 و1442). وسنن الدارمي كتاب الوصايا حديث (3065) برنامج السلسلة الذهبية للحديث النبوي. وانظر الفقه الإسلامي وأدلته ج8 ص7 و8.

(1) الفقه الإسلامي وأدلته ج8 ص154-155.
(2) الفقه الإسلامي وأدلته ج8 ص154-155. لقد بلغ المسلمون منزلة رفيعة جداً في أعمال التطوع التي لم يعهد لها التاريخ مثيلاً، فهناك صكوك لأوقاف ريعها للفقراء والمحتاجين، بل لرعاية (القطط) وإطعام (الكلاب) ومواساة الخدم؛ كوقف الزبدي، إذا خرجت جارية بآنية إلى السوق فكسرت ذهبت إلى قيم الوقف يعطيها بدلاً منها، والأعجب من هذا؛ وقف ينفق ريعه لرفع

والوقف عند المالكية: [جعلُ المالكِ منفعةً مملوكة - ولو كان مملوكاً بأجرة - أو جعل غلته كدراهم لمستحق، بصيغة، مدة ما يراه المحبس]، فالمالك يحبس العين عن أي تصرف تمليكي، ويتبرع بريعتها لجهة خيرية تبرعاً لازماً، مع بقاء العين على ملك الواقف فلا يشترط فيه التأيد. فالوقف عند المالكية لا يقطع حق الملكية في العين الموقوفة.

واتفق العلماء في وقف المساجد على أنه من باب الإسقاط والعتق، لا ملك لأحد فيها، وأن المساجد لله تعالى¹.

والوقف عند الجمهور سنة مندوب إليها، فهو من التبرعات المندوبة لقوله تعالى:

{ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ } آل عمران 92.

ولقوله صلى الله عليه وسلم: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)².

الهبة: تشمل الهدية والصدقة، فإن نوى التقرب بها إلى الله تعالى وأعطائها لمحتاج فهي صدقة، وإن حملت إلى مكان المهدي إليه تودداً وحباً له فهي هدية.

فإن قدمت لغير محتاج ودون قصد التودد إليه فهي هبة. والهبة في الاصطلاح الشرعي: [عقد يفيد التمليك بلا عوض حال الحياة تطوعاً، وتكون بلفظ الهبة والتمليك بغير مقابل. وتصح بالإيجاب والقبول والقبض].

والهبة مشروعة ... مندوب إليها لقوله تعالى: **وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً [النساء:4].**

وقوله سبحانه: **وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ**

[البقرة:177].

ثامناً - نماذج من أعمال التطوع في الإمارات قبل النفط ، وبعده :

إن أصالة الإسلام في أبناء الجزيرة العربية، والتزامهم به صان الجزيرة عن كثير من المهالك، وتحطمت على درعها كثير من الحملات المغرضة الاستعمارية إلى عهد قريب، وطبع الإسلام سلوك

معنويات المرضى نفسياً ، ووقف للدواب الهرمة والكسيرة التي تصبح عبئاً على صاحبها ؛ فتدفع إلى بستان كبير تأكل وتشرب إلى أن تلقى أجلها . (انظر من روائع حضارتنا) .

(1) انظر الفقه الإسلامي وأدلته ج8 ص155-156.

(3) أخرجه أحمد والبخاري في الأدب ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي . جمع الجوامع ج1 ص87-88 .

أبناء هذه المنطقة بطابع متميز من الاستقامة وحسن الخلق، والقيام بالشعائر وأداء العبادات، والبذل والكرم على قلة موارد الجزيرة قبل النفط.

أ- ومع هذا فقد برزت في الإمارات أعمال مجيدة في ميدان التطوع قبل النفط منها:
مدرسة ابن دلوك التي أنشئت في دبي في مطلع القرن العشرين حيث يدرس فيها أبناء البلاد وبعض الوافدين من البلاد المجاورة ومن القارة الأفريقية و الهندية، وكان فيها قسم داخلي للطلاب الوافدين حيث تتوفر لهم الإقامة ولوازمها من طعام وشراب.
مدرسة الشيخ علي عبد الله المحمود التي أنشئت في العقد الثاني من القرن العشرين، وضمت كثيرين من أبناء البلاد والوافدين الذين تؤمن لهم الإقامة والطعام والشراب.
مدرسة البكري التي أنشئت في عجمان وضمت طلاب العلم من أبناء البلاد ومن الوافدين إليها. وكل هذه المدارس كانت تدرس العلوم الشرعية وبعض العلوم الكونية واستمرت حتى ثورة النفط، وكل هذه المدارس كانت بدون أجور يمولها مؤسسوها¹، كما كانت هناك كتاتيب يعلم فيها المطوعون بدون أجر.

ب- ومن أبرز المشاريع التطوعية بعد النفط:
إنشاء كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي حتى أصبح عدد طلابها ثلاثة آلاف طالب وطالبة يدرسون من غير مقابل.
مركز جمعية الماجد للتراث والدراسات الإسلامية، وهو مركز مشهود له برفعة مكانته وحسن أدائه.

المدرسة الإسلامية بدبي للحاج سعيد لوتاه التي تعلم طلابها العلوم الشرعية والكونية، وتهيئهم للحياة العملية في المجتمع، بحيث يتمكن الطلاب عملياً على اكتساب مهارة جيدة، يمكن أن تكون مصدر رزقهم في قادمات الأيام.
وفي نظري إن جميع الجمعيات الخيرية القائمة في مختلف الإمارات المعاصرة ألوان من العمل التطوعي.

تاسعاً - خصائص العمل التطوعي في الإسلام :

(1) ذكرت نماذج كثيرة منها في محاضرتي (الجسور الثقافية بين الإمارات العربية والبلاد العربية والإسلامية خلال القرن الرابع عشر الهجري) التي ألقيتها في جامعة الإمارات العربية المتحدة سنة 1985 ، والمحفوظ منها شريط لدى الوسائل التعليمية في كليات الطالبات .

الإخلاص: ما دام العمل قرينة إلى الله عز وجل، فلا بد من إخلاص النية لله؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات)¹، وقوله صلى الله عليه وسلم: (من صلى يرأى فقد أشرك، ومن صام يرأى فقد أشرك، ومن تصدق يرأى فقد أشرك)².

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله عز وجل يقول: (أنا خير قسيم لمن أشرك بي، من أشرك بي شيئاً فإن حشدَه عمَلُه قليله وكثيره لشريكه الذي أشرك به، وأنا عنه غني)، وقال صلى الله عليه وسلم: (أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً)³، وقال صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص: (...إنك لَنْ تُخَلَّفَ فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة)⁴.

الإتقان: من لوازم الإيمان الأمانة، فلا دين لمن لا أمانة له، ومقتضى الأمانة أن يحسن المؤمن أداء ما أسند إليه، أداء تاماً لا خلل فيه، وأن ينصح فيما يعمل؛ لأن الدين النصيحة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ورد في حديث عن السيدة عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)⁵.

يؤدي دون مقابل: ما دام العمل تبرعاً وتطوعاً، فليس للمتطوع أن يقبل عوضاً أو بدلاً مقابل عمله، وإلا يفقد العمل صفة التبرع والتطوع. وإنما يؤدي لوجه الله تعالى حسبة، لا يبتغي من ورائه جزاء ولا شكوراً.

يحقق منفعة: لا بد للعمل من أن يكون إيجابياً يحقق منفعة لبعض الناس، أو لبعض المخلوقات الأخرى من حيوانات أو نباتات، أو طيور أو دواب. وإذا لم يحقق منفعة يكون عبثاً وإهدار طاقة. والطاقة ذات قيمة مالية، ولا يجوز أن يتلف المال. ففي الترويج عن النفوس وتجديد نشاطها بأمر مشروع عمل، وفي إغاثة الملهوف إعانة ومساعدة فيؤجر المتطوع لذلك. وقد أسلفت كثيراً من أنواع العمل التطوعي.

¹ (أخرجه الجماعة إلا الموطأ

² مسند أحمد مسند الشاميين حديث (16517) قال عوف بن مالك عند ذلك : أفلا يعمد إلى ما ابتغي فيه وجهه من ذلك العمل كله

(1) أخرجه مسلم في حديث طويل في كتاب الزكاة حديث (1686) .

(2) أخرجه مسلم في حديث طويل في كتاب المغازي حديث (4057) .

(3) أخرجه أبو يعلى الموصلي والبيهقي في شعب الإيمان , وفيه مصعب بن ثابت مختلف فيه , انظر الجامع الأزهر ج 1 ورقة 104

ب , والجامع الكبير ج 1 ص 184، كما أخرجه ابن النجار .

يدفع مفسدة: إن لم يجلب العمل التطوعي منفعة، لا بد من أن يدفع مفسدة؛ كإمالة الأذى عن الطريق، ورفع الأنقاض عمن هدمت عليهم بيوتهم بزلزال، أو ضعف بناء ونحو هذا، وعلى هذا تقاس الأمور. والأصل أن دفع المفاصد فرض كفائي، وقد ينقلب فرض عين؛ على متفرد بالعلم قادر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وفي غير هذه الحالات مندوب لمن يعرف المعروف والمنكر، ويجسن القيام بواجبهما.

وجوب الوفاء بما التزم به المتطوع: لأنه وعد والتزام، والمؤمن إذا وعد وفي، وقد أمر سبحانه بالوفاء في آيات كثيرة، منها قوله عز من قائل: ﴿ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام:152]. وقوله سبحانه: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء:34]، وحُلف الوعد من صفات المنافقين. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (آية المنافق ثلاث، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان)¹، وقال صلى الله عليه وسلم: (العائد في هبته كالكلب يقيء ثم يعود في قيئه)²، وفي رواية: (العائد في هبته كالعائد في قيئه)³، وفي رواية: (ليس لنا مثلُ السوء: الذي يعود في هبته كالكلب يرجع في قيئه)⁴.

ويختص العمل التطوعي الجماعي زيادة على ما سبق بالخصائص الآتية:

الرياسة: ما دام العمل جماعياً، وإن كان تطوعاً، فإنه لا بد من رئاسة تحسن الإشراف في تنفيذ مراحل العمل، وتوزع المسؤوليات. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (إذا كنتم ثلاثة في سفر فأمرُوا أحدكم)⁵. وهذه إمارة تنظيم وترتيب وتنسيق، كالمركب لا بد له من قائد، ولو تعدد الربان فيه. الشورى: لا تعني الإمارة أو الرئاسة التفرد بالأمر والنهي والتخطيط والتنفيذ، فالشورى في الإسلام أمر مطلوب، قال عز من قائل يصف المؤمنين: ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الشورى:38]. وأمر الله تعالى رسوله الكريم بمشاورة أصحابه، قال عز من قائل: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

(1) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان حديث (32).

(2) صحيح البخاري كتاب الهبة حديث (2400).

(3) صحيح البخاري كتاب الهبة حديث (2428)، وصحيح مسلم حديث (3050).

(4) صحيح البخاري كتاب الهبة حديث (2429).

(1) مسند ابن الجعد الموسوعة الذهبية (176256).

الْمُتَوَكِّلِينَ [آل عمران:159]. وكانت الشورى سنةً في حياته صلى الله عليه وسلم وَدَيَّدَنِهِ: و (المستشار مؤتمن) ¹ كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم .

توزيع المسؤوليات: كل حسب وسعه وطاقته واختصاصه، قال صلى الله عليه وسلم: (كل ميسر لما خلق له) ²، ولا بد من العدل بينهم، وحسن إرشادهم ونصحهم، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة ، إلا لم يجد رائحة الجنة) ³.

التعاون: لا بد من التعاون بين المتطوعين في عمل واحد لقول الله تعالى: [وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ [المائدة:2]، ويجب أن تسود المحبة بينهم، وتشملهم الروح الأخوية الطيبة التي دعا إليها الإسلام بقوله تعالى: [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ [الحجرات:10]، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) ⁴، ويجب أن يكون واضحاً لدى فريق العمل أن نجاح أحدهم وتقدمه وتميزه، إنما هو نجاح وفوز لهم جميعاً.

التنافس المحب والتشجيع الهادف: إن روح التنافس من أجل حسن الإنجاز، والتشجيع الذي يشحذ العزائم، له دوره الكبير في جميع الأعمال، وبخاصة التطوعية، وقد رأينا كيف كان ينجز الرسول وصحبه الكرام ما كانوا يقومون به.

التنظيم والترتيب: يجب أن يتخذ الجميع الترتيبات اللازمة لإنجاز ما تطوعوا من أجله، وتنظيم أمورهم. ومعلوم أن مردود التخطيط والتنظيم أكبر بكثير من ترك الأمور على طبيعتها، فإن مثل هذا يفضي إلى الفوضى، التي تتنافى مع المسؤولية، وتتنافى مع روح التنظيم الذي يدعو إليه الإسلام. فكل ما يحتاج إليه يجب أن يستفاد منه. ومن المعلوم أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فنأخذ بكل حديث يفيد الأعمال التطوعية وبضاعف مردودها ؛ لتتفق مشاريعنا مع معطيات العصر وروحه.

(2) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد (2292)، وأبو داود حديث (4463) ، وابن ماجه (3735) ، وأحمد حديث (31326) ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (...) ومن استشار أخاه فأشار عليه بأمر وهو يرى الرشد غير ذلك فقد خانته (أخرجه الإمام أحمد في باقي مسند المكثرين برقم (8421) .

(3) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما انظر الأدب (5749) والقدر (6996) وصحيح مسلم (4786).

(4) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام رقم (6617) . وعند الترمذي (إن الله سائل كل راع عما استرعاه) كتاب الجهاد حديث (1627). ونحوه في البخاري حديث (3196) ، ومسلم كتاب الإمارة حديث (3429) ، ومسند أحمد باقي مسند المكثرين

حديث (7619) .

(4) أخرجه البخاري ومسلم.

عاشراً – دور العمل التطوعي في بناء المجتمع :

إن للعمل التطوعي آثاراً اجتماعية هامة جداً تأخذ بالمجتمع إلى مدارج التقدم والازدهار، يمكن تلخيصها فيما يلي:

يفسح فرصة التعارف بين أبناء المجتمع، مصداقاً لقوله عز من قائل: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** [الحجرات:13].

ينمي روح الأخوة مصداقاً لقوله تعالى: **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** [الحجرات:10].

يقوي الصلات بين أفراد المجتمع، بمقتضى الالتزام بأداء العمل.

ينمي روح التعاون وروح الفريق، مصداقاً لقوله تعالى: **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** [المائدة:2].

ينمي في الفرد حب النظام والمحافظة عليه، نتيجة التخطيط والتنفيذ.

تقدير الوقت وأهميته وعدم إهداره.

يسهم العمل التطوعي في تدريب الفرد على تحمل المسؤولية.

ينمي في الفرد احترام الآخرين، وتقدير العمل المفيد والعطاء الجيد: **وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ** [الأعراف: 58].

المحافظة على المنجزات لأن أبناء المجتمع أسهموا في تحقيقها.

يرفع المعاناة عن ذوي الحاجات.

يسهم في التكافل الاجتماعي.

يقرب بين فئات المجتمع، ويذيب الفوارق المصطنعة، مصداقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم:

إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ، ولكن ينظر إلى أعمالكم وقلوبكم ، التقوى هاهنا ، التقوى هاهنا ، التقوى هاهنا ، التقوى هاهنا) وأشار إلى صدره¹ .

يحفز العمل التطوعي على مزيد من العطاء، كلما ازداد المساهم فيه تقدماً ونجاحاً؛ لأن الشعور بالنجاح يشحذ العزيمة، ويقوي الهمة.

(2) أخرجه الإمام مسلم وغيره .

يورث العمل التطوعي الطمأنينة في النفس؛ لأن الدافع إلى الأداء دافع ذاتي. يخفف العمل التطوعي بعض المسؤوليات والواجبات عن الدولة. يسهم العمل التطوعي مع تناميهِ في رفع المستوى الاقتصادي؛ لكثرة المشاريع الخدمية، والمرافق العامة، وتحقيق بعض حاجيات أبناء الأمة. يسهم في بناء اقتصاد الأمة، والتخفيف من نفقاتها، وغير هذا مما تحققه ميادين العمل التطوعي المختلفة.

أحد عشر - دور الشباب في العمل التطوعي :

الشباب هم طاقة الأمة الفاعلة، ومحط أنظارها، ومعقد آمالها، وللشباب طاقات لا تحُد، ومهارات متميزة، إذا أحسنت رعايتها وتوجيهها وتنظيمها، وفي الشباب حب لإثبات شخصيته الفاعلة. فيجد في العمل التطوعي بغيته، مما ينمي هواياته، ويشبع ميوله، ويصقل مواهبه، ويأخذ بيده إلى ميادين تحمل المسؤولية. والسبل إلى هذا ميسرة في كل مراحل دراسته، بدءاً من المنزل وانتهاء بالجامعة، ثم إلى الحياة العملية.

أولاً - المنزل:

ففي المنزل يمكن أن يشارك الأولاد في تنظيفه وترتيبه بتوجيه من أمهم. كما يمكن أن يتحمل بعضهم مسؤوليات محددة في تأمين حاجات المنزل. وتتسع دائرة العمل التطوعي في المنزل مع تقدم سن الأولاد، فيساعد المتقدم في الدراسة من دونه من إخوانه وأخواته ونحو هذا، كما يمكن أن يقوم الشباب ببعض شؤون أعمال آبائهم في القطاع الخاص. ومثل هذا يقال بالنسبة للإناث.

ثانياً - المدرسة: إن مجالات العمل التطوعي في المدرسة أوسع من مجالات المنزل؛

منها :

تحمل بعض المسؤوليات في الفصل؛ فمن الطلاب من يضبط النظام في الفصل قبل دخول المدرس، ومنهم من يكون مسؤولاً عن جلب وسائل الإيضاح من وحدة الوسائل التعليمية، ومنهم من يتحمل مسؤولية إعداد أقلام السبورة، وآخرون على نظافة الفصل، وغير هذا من الأعمال اليومية التي يمر بها الطلبة.

وفي المرحلة المتقدمة من المدرسة الابتدائية، يمكن أن يشارك الطلبة في اللجان المدرسية المتنوعة.

كما يمكن أن يتحمل الطلبة المسؤولية الإدارية في بعض أيام الأسبوع.

كما يمكن أن يكون للطلبة ممثلون في مجالس الطلاب المدرسية وفي مجالس المنطقة. يمكن أن يسهم الطلاب في توثيق الصلات الاجتماعية، بين مدرستهم والمدارس الأخرى في المنطقة، من خلال الزيارات، والمسابقات الثقافية، والمباريات الرياضية، كل هذا يمكن أن يتم بإشراف الموجهين، وحسن المتابعة.

وفي المرحلة الإعدادية والثانوية يمكن أن يشارك الطلاب في الأعمال التطوعية المجتمعية؛ كتعليم الكبار في المساء، وتمثيل المدرسة في الأندية الرياضية، والجمعيات الثقافية، والجمعيات الخيرية، وبخاصة في المناسبات الوطنية والدينية والإنسانية.

وفي المرحلة الجامعية يتسع ميدان العمل التطوعي الجامعي والمجتمعي، بما لا يخفى على المشتغلين في ميادينه.

وبهذا القدر نكتفي والحمد لله رب العالمين .

الخاتمة

وبعد هذا العرض الموجز أدركنا أصالة العمل التطوعي في الإسلام، وتعدد ميادينه وأنواعه، ووقفنا على شواهد كثيرة تبرز خصائص العمل التطوعي في الإسلام. وقد بلغت إحدى عشرة خصيصة متميزة. ووقفنا على نماذج للعمل التطوعي الفردي، والعمل التطوعي الجماعي في صدر الإسلام، كما وقفنا على نماذج للعمل التطوعي في الإمارات، قبل النفط وبعده، وانتهينا إلى بيان الدور الكبير الذي يسهم فيه العمل التطوعي في المجتمع، من الناحية الاجتماعية والتربوية والاقتصادية، ثم ألحنا إلى دور الشباب في العمل التطوعي. وإن كان لا بد من توصيات واقتراحات، فأقترح ما يلي:

عقد ندوات بين وقت وآخر تزيد من الوعي في أهمية العمل التطوعي.

القيام بمشاريع إنسانية تطوعية، أو إسهام بعض الهيئات بتحمل مسؤولية بعض الأعمال في بعض المؤسسات الحكومية؛ نحو تقديم مختبر لجامعة، أو التبرع بجناح لمستشفى حكومي، أو تقديم مكتبة لمدرسة أو جامعة، ونحو ذلك.

إسهام بعض الشباب في أعمال بعض المؤسسات التطوعية باسمهم، أو باسم مدارسهم وجامعاتهم. وبهذا تتوسع آفاق العمل التطوعي، ويكثر المساهمون فيه.

والحمد لله رب العالمين .